

حتشبسوت

الطريق إلى السلطة بين التأييد والمعارضة

Hatshepsut

The Road to Power: Between Support and Opposition

بلحفصي غنية

جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله-

ghania/belhafsi@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/06/01 تاريخ القبول: 2025/07/06 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص: ارتبط اسم الملكة حتشبسوت بمشكلة تتابع الملوك وحق وراثته العرش في عصر الدولة الحديثة، حيث لم يكن تولي السلطة من طرف ملكة أو أميرة أمراً شائعاً، إلا في حالات الوصاية على الوريث الشرعي من الذكور، أو انتقال الحكم من أسرة إلى أخرى عن طريق الزواج، أما حتشبسوت فرغم أحقيتها وشرعيتها في الحكم إلا أنها لاقت معارضة ورفضاً من طرف المجتمع، ولكن ورغم ذلك فقد استطاعت بحنكتها وقوة شخصيتها كسب تأييد عدة أطراف، كانوا سنداً لها في تحقيق طموحها وحكم البلاد منفردة، متشبهة في ذلك بأسلافها من الملوك الرجال، وتميز عصرها بالازدهار في عديد المجالات لاسيما الاقتصادية والعمرانية منها والتي مازالت حتى يومنا هذا شاهدة على منجزاتها رغم محاولات التشويه والطمس الذي شهدته معظم آثارها بعد وفاتها واعتلاء خليفتها تحوتمس الثالث العرش.

كلمات مفتاحية: حتشبسوت، السلطة، الحكم، المعارضة، التأييد، الدولة الحديثة.

Abstract:

The name of Queen Hatshepsut was linked to the problem of the succession of kings and the right to inherit the throne in the era of the New Kingdom, where the assumption of power by a queen or princess was not a common matter, except in cases of regency or the transfer of power. As for Hatshepsut, despite her right and legitimacy to rule, she met with opposition and rejection from Society side. However, despite this, she was able, with her skill and strength of personality, to gain the support of several parties to achieve her ambition and rule the country, imitating her male ancestors, and her era was characterized by prosperity in many fields, especially economic and urban ones, which to this day still bear witness to her achievements despite the attempts to distort and obliterate that she witnessed. Most of her effects after her death.

Keywords: Hatshepsut, power, regime, opposition, support, New Kingdom.

*المؤلف المرسل: غنية بلحفصي أستاذة محاضرة ب جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

1. مقدمة:

تعتبر فترة حكم الأسرة الثامنة عشر من أبرز الفترات التي ميّزت عصر الدولة الحديثة، حيث ظهرت أسماء الملوك كان لهم الفضل في إعادة الأمن للبلاد بعد طرد الغزاة الهكسوس، وبناء صرح لمملكة سُمّيت بالمملكة الحديثة لآتساع حدودها وقوة ملوكها، وقد جرت العادة أن يعتلي الحكم الملوك الرجال ولكن ظهرت واحدة من أقوى الملكات والتي كان عصرها علامة فارقة في التاريخ المصري القديم، هي الملكة "حتشبسوت" التي تميز عهدها بالكثير من الجدل وسط الباحثين والمتخصصين، من حيث شرعية حكمها وترتيبها وسط ملوك هذه الأسرة، فكيف تمكنت هذه الملكة من الصعود إلى الحكم؟ ماهي الأساليب التي انتهجتها لمواجهة الرافضين لحكمها؟ وهل تمكنت حتشبسوت من بلوغ السلطة وتحقيق إنجازات هامة على غرار أسلافها من الملوك؟

2. نبذة عن حياة الملكة حتشبسوت

1.2 نسبها:

هي الملكة "غنمت آمون" الملقبة باسم "حتشبسوت"، ويعني اسمها "خليلة آمون" ا لمفضلة من بين النساء" أو "خليلة آمون أجمل الأميرات"، حملت عدة ألقاب ملكية وتُعد الخامسة ضمن سلسلة ملوك الأسرة الثامنة عشرة من عصر الدولة الحديثة، يرجع نسبها إلى أسرة التحامسة - نسبة إلى أسماء عدد من الملوك الذين حكموا مصر خلال عهد الأسرة الثامنة عشر (1315-1569 ق.م) - فهي ابنة الملك "تحتمس الأول" (1525-1516 ق.م)، الذي اختلف الباحثون في سلسلة نسبه، إذ ذهب عدد منهم إلى أنه كان أخا غير شقيق لـ "أمنحتب الأول" (1545-1525 ق.م) ثاني ملوك هذه الأسرة، أما آخرون فقد ذهبوا إلى أنه ابنه من زوجة ثانوية تُدعى "سنسب" التي جاء ذكرها في نقش يحتوي على مرسوم توليه العرش (شارف، 2013، صفحة 21)، تزوج تحتمس الأول من أميرة تحمل النسب الملكي "أحمس تشريت" لإضفاء الشرعية على اعتلائه العرش، وقد ذهب عدد من الباحثين من إلى أنها أخت "أمنحتب الأول"، حيث جاء في أحد النقوش التي سُجلت على جدران معبد حتشبسوت في الدير البحري -الأقصر حاليا- أحد ألقابها وهو "الأخت الملكية"، أي أن هذه الملكة تحمل الدماء الملكية وأنها من النسل المباشر للملك أحمس الأول (1545-1569 ق.م) مؤسس الأسرة الثامنة عشر (سعد الله، 1988، صفحة 78)، وقد تزوجت أحمس تشريت من تحتمس الأول وأثمرت هذه الزيجة عن ولدين توفيا خلال حكم أبيهما، هما "وواج موس" و"آمون موس"، وابنتين هما "حتشبسوت" و"نفروبيتي" التي توفيت كذلك في حياة، كما كان لتحتمس الأول ولد آخر من زوجة ثانوية تدعى "موت نفرت" ويسمى "تحتمس الثاني" (سعد الله، 1988، صفحة 79).

2.2. زواجها:

تبعاً لنظام وراثة العرش في مصر القديمة، فإن أي واحد من أبناء الملكة أحمس تشريت كان يمكن أن يخلف والده على العرش، والواقع أنه لم يتبق منهم سوى الأميرة حتشبسوت التي كان من المفروض أن تخلف والدها تحتمس الأول على العرش، لولا أن ذلك لم يكن معهوداً أن تتولى الحكم وحدها دون شريك، بالرغم أنهم كانوا يقرّون بمبدأ حق الإناث في توريث العرش (مهران، صفحة 14)، ويبدو أن تحتمس الأول بعد وفاة زوجته أحمس تشريت، كان مضطراً لإعلان وريثتها التي من صليها حتشبسوت بصفقتها وريثة وحيدة على العرش، لذلك قام بتزويجها من أخيها غير الشقيق "تحوتس الثاني" (1504-1516) ليدعم شرعيته في اعتلاء العرش (شارف، 2013، صفحة 124).

ويبدو أن إقدام تحتمس الأول على هذه الخطوة هو ليجنب البلاد الاضطرابات والانقسامات بعد وفاته، وقد تم الزواج حسب ما كتبه "أنيني" المشرف على خزانة الملك الذي عاصر وفاة تحوتمس الأول واعتلاء تحوتمس الثاني الحكم، وعاصر كذلك حكم حتشبسوت والفترة الأولى من حكم تحوتمس الثالث: "ظهر الصقر الذي في العرش...كملك على الوجه البحري والوجه القبلي، تحتمس الثاني...وأصبح ملكاً على الأرض السوداء والأرض الحمراء وحكم الأرض مظفراً" (سعد الله، 1988، صفحة 80).

وظهر تحوتمس الثاني مع زوجته حتشبسوت في المناظر أثناء مراسيم دفن والدهما تحتمس الأول في مقبرته في وادي الملوك، وبرزت ألقاب جديدة صاحبت ألقاب الملكة حتشبسوت مثل: "الابنة الملكية، الأخت الملكية، الزوجة الملكية الكبرى، سيدة الأرضين، حتشبسوت فلتحيا"، كدليل على وصولها لمرتبة زوجة الملك والتأكيد على نسبها وكذا سلطتها. (سعد الله، 1988، صفحة 81)

3. اعتلاء حتشبسوت العرش

لم تعتل الملكة حتشبسوت سدة الحكم في مصر مباشرة، بل تدرجت في ذلك، حيث تميزت الفترة الممتدة بين حكم والدها تحتمس الأول واعتلاء وزوجها تحتمس الثاني العرش بمشاركتها في الحكم بطرق مختلفة، وذلك ما جاء في النقوش التي أمرت بكتابتها على جدران معبدها.

3.1 مشاركتها في الحكم:

*في عصر تحتمس الأول:

لقد كانت "حتشبسوت الوريثة الشرعية للبلاد إذ لم يكن هناك وريث شرعي من الذكور بعد وفاة إخوتها (رادييه، 1998، صفحة 17)، وبناء على ما جاء في النصوص الأثرية التي وُجدت داخل معبد الدير البحري، فإن

والدها تحتمس الأول وبعد وفقدانه لأبنائه زاد من اهتمامه بابنته، فكان يصحبها معه في رحلاته (Breasted, 1941, p. 223 إلى المعابد الرئيسية في مصر، كما رافقته عندما توجه إلى الشمال مصر إلى الدالتا (تيريزا ومارتين، 2015، صفحة 73)، وتلقت حتشبسوت في هذه الفترة اهتماما كبيرا من والدها حيث ذكرت في النصوص بأن والدها كان يلقيها كافة التعليمات والتوجيهات اللازمة التي تمكنها من وراثة العرش، مثل تقديمها لكبار الموظفين. (Christiane, 1986, pp. 37-40)

كما أمرت حتشبسوت بتدوين نقش على جدران معبدها في الدير البحري يخلد مبايعة والدها تحتمس الأول لها في حياته، والنقش عبارة عن قصة طويلة تتلخص في أن أباه بايعها بالملك في حياته عندما كانت شابة، وأن الكهنة وكبار رجال الدولة وافقوا على ذلك، أي أن كل من "تحتمس الثاني وتحتمس الثالث كانا مغتصبين لحقها في تولي العرش (فخري، 2007، صفحة 216)، ومما جاء فيه: "لقد عيّنتها لكي تخلفني على عرشي، فهي بالتأكيد التي سوف تجلس على عرشي المجيد، وهي التي سوف تُدير شؤون البلاد في كل إقليم من أقاليم الدولة، وهي التي سوف تقودكم...". (السيد، 1993، صفحة 69)

*في عصر تحتمس الثاني:

لقد كان تحتمس الثاني وحتشبسوت متقاربين في السن في العشرينات من العمر، ورغم أن فترة حكم هذا الملك قد تميزت بكثير من الغموض بسبب قلة المصادر التي تحدثت عن ذلك، إلا أن من أعماله أنه كان لا بد له أن يحافظ على منجزات أسلافه والحفاظ على حدود مصر من أي غزو خارجي، فقاد حملة إلى الجنوب إلى بلاد النوبة، وأخرى في الشمال إلى بلاد الشام، وما كان من حتشبسوت إلا أن تخلفه في هذه الفترة، فأظهرت قوة في الشخصية ونجحت في أن تثبت وجودها في عهد زوجها وأن تمهد لخلافتها إياه (صالح، 1968، الصفحات 2-3).

وقد بدأ الزوجان في إعداد مقبرتين ملكيتين حيث كانت مقبرة تحتمس الثاني في وادي الملوك، ولأنه لم تكن هناك حتى ذلك الوقت مقبرة خاصة بنساء العائلة المالكة، فقد اختارت حتشبسوت أن تبني مقبرتها في المنحدرات المواجهة للنهر، قبالة مدينة طيبة، وتم وضع تابوت ضخمة دونت عليه العبارات التالية: "الأميرة العظيمة، عظيمة السمو، سيدة كل الأراضي، الابنة الملكية والأخت الملكية، الزوجة الملكية العظمى، سيدة الأرضين حتشبسوت"، إلا أن علماء الآثار قد أكدوا أنه لم يتم استعمال هذه المقبرة قط، وذلك لأن حتشبسوت ستختار مكانا آخر لدفنها (سوزانا، 2008، صفحة 35)، لم ينجب تحتمس الثاني من حتشبسوت وريثا ذكرا، وإنما كانت له منها ابنة وحيدة تدعى "نفروع"، وقد تزوج من زوجة ثانوية اسمها "إيزيس" أنجبت له ولدا اسمه "تحتمس الثالث" (صالح، 1968، الصفحات 2-3).

2.3 الوصاية على العرش:

عندما توفي تحوتمس الثاني كان الحاكم المنتظر لمصر هو الوريث الملكي الذكر التالي "تحوتمس الثالث" من زوجته الثانية، الذي كان لا يزال صغيراً لا يتجاوز السبعة أو الثمانية سنوات، ومع ذلك فقد اعتلى العرش ولُقِّب بملك مصر العليا والسفلى (سوزانا، 2008، صفحة 39)، ويبدو أن تحوتمس الثاني كان على علم بطموح زوجته ورغبتها في الحكم، لذلك ولتجنب ذلك الطموح وليأمن بقاء الأسرة الحاكمة، فإنه لجأ إلى تعيين ابنه الوحيد وريثاً على العرش بالرغم من أن مقاليد الحكم فعلياً كانت في يد زوجته حتشبسوت، وهو ما يؤكد نص أنيني: "...حينما صعد تحوتمس الثاني إلى السماء، واتحد مع الآلهة، حل محله ابنه تحوتمس الثالث كملك على الأرضين وحاكماً على عرش من أنجبته، بينما كانت أخته الزوجة الإلهية حتشبسوت تتولى أمور الأرضين طبقاً لإرادتها..." (سعد الله، 1988، صفحة 73).

كانت حتشبسوت في حوالي الثلاثين من عمرها عندما توفي زوجها، وكان بإمكانها أن تتزوج مرة أخرى وتؤسس أسرة حاكمة جديدة في ظل عجز الملك الجديد عن تولي مهامه بسبب صغر سنه، وبالتالي فإن العرش سيؤول لمن تختاره زوجها لها وتعطيه الشرعية في الحكم بصفتها ابنة ملك، أخت ملك وأرملة ملك، وهذا ما لم يحدث، ربما لتخوفها من أن هذا الأمر سيحد من قوتها وطموحها، لذلك كان لابد لها أن تقوم بدور الوصاية على العرش إلى أن يكبر الملك الجديد ليتولى ذلك بنفسه، وتلك كانت المرة الأولى التي تتولى فيها ملكة بلوصاية على وريث ليس ابنها بل هو ابن زوجها من زوجة ثانوية (سوزانا، 2008، صفحة 39).

بعد أن أصبحت حتشبسوت وصية على العرش، بدأت في تدبير شؤون البلاد باسم تحوتمس الثالث، وقد كان من تقاليد الحكم المصرية أن يتزوج وريث العرش من زوجة ثانوية من أميرة تحمل الدماء الملكية، فتزوج تحتمس الثالث من أخته غير الشقيقة "نفروع" ابنة حتشبسوت وتحتمس الثاني، وفي هذا الصدد يرى عدد من الدارسين بأن حتشبسوت كانت قد اعترضت على هذا الزواج في بداية الأمر، لكن بعد مرور سنتين قبلت بالأمر خدمة لمصالحها، أما فريق آخر فذهب إلى أن حتشبسوت قامت بالتخطيط لتزويج ابنتها من تحوتمس الثالث رغم فارق السن بينهما، لتضمن أن تكون ابنتها شريكة معه في الحكم. (سوزانا، 2008، صفحة 72).

ومن الناحية الرسمية فهي كذلك أرملة ملكية تدير مقاليد الحكم بالوصاية عن الوريث الشرعي، فظهر اسمها مع اسم تحتمس الثالث في الأختام، المعاهدات السياسية، المعاملات الاقتصادية والمناسبات الدينية، وعلى سبيل المثال في السنة الثانية من حكم تحتمس الثالث تم الانتهاء من تشييد معبد في منطقة "سمنا" بالنوبة، وهو إعادة بناء معبد من عصر الدولة الوسطى، وجاءت نصوصه كلها باسم تحتمس الثالث دون ذكر لحتشبسوت، وكذلك بعض الأعمال الأخرى، لكن سرعان ما أظهرت هذه الأخيرة نواياها الحقيقية التي لطالما طمحت إلى وراثة العرش وحكم البلاد منفردة (سعد الله، 1988، صفحة 78).

3.3 اعتلاء حتشبسوت العرش:

غنية بلحفصي

لم تدم الوصاية على عرش تحتمس الثالث طويلا، إذ سرعان ما بدأ اسم هذا الأخير يختفى تدريجيا من الظهور في مختلف الإجراءات والمعاملات والمناظر، وقد اختلفت آراء الباحثين بشأن السنة التي تولت فيها حتشبسوت الحكم كملك لمصر، حيث ذهب عدد منهم إلى أنها لم تبدأ التأريخ لحكمها منذ اللحظة التي تولت فيها الحكم فعليا، بل كان ذلك في العام الثاني من حكم تحوتمس الثالث، وهذا اعتمادا على نص منقوش على جدران المقصورة الحمراء التي شيدتها حتشبسوت في الأقصر، أما فريق آخر من الباحثين فذهب إلى أن حتشبسوت قد تولت أمور الحكم في العام السابق لاعتلاء تحوتمس الثالث العرش معتمدين في ذلك على الألقاب الملكية التي تقلدتها قبل وفاة زوجها تحوتمس الثاني واعتلاء ابنه الحكم (مهران، صفحة 15)، ومهما يكن من أمر فإن حتشبسوت وبعد فترة وجيزة من بداية حكم تحوتمس الثالث في حوالي العام الثاني أو بعد بضع سنوات من حكمه، قد تهيأت لها الظروف السياسية لتنفرد بالحكم وتخلع على نفسها الألقاب التي تقلدها الملوك الرجال منذ بداية عصر الأسرات.

4.3 تتويج الملكة:

لا توجد سجلات تصف اليوم الذي تمت فيه عملية تتويج الملكة حتشبسوت، إلا أنه عُثر على أجزاء من نقش يعود لحفل تتويجها بالألقاب الملكية التي استخدمت من قبل الملوك لتأكيد أحقيتهم في العرش، وتحدد علاقتهم بالآلهة وبالأرض نفسها، وبعد هذا الحفل أصبح اسمها "خنوم- آمون حتشبسوت" (سوزانا، 2008، صفحة 29)، وهذه الألقاب الملكية هي:

***الحوري:** نسبة إلى الإله حور أو حورس إله الخير والعدالة، ومعناه أنه بمجرد أن يعتلي الملك عرش مصر حتى يصبح صورة حية لهذا الإله، وكان يرمز له بالصقر.

***النبتي:** بمعنى السيدتان، ويقصد بهما آلهة مصر العليا "نخت" ويرمز لها بأنثى النسر، وآلهة مصر السفلى "دجت" ورمزها الكوبرا، كدليل على أن الملك هو حاكم الأرضين الدالتا والصعيد، ولطالما ارتدى ملوك مصر القديمة تاجا مزدوجا عليه هذه الرموز كناية عن وحدة أرض مصر.

***نسو-بيتي:** وتعني سيد الأرضين الوجه البحري والوجه القبلي.

***لقب حور-نب:** أو الاسم الذهبي: ويقصد به حورس الذهبي، ونبو في المصرية القديمة يعني الذهب، أما دلالة هذا اللقب فهي اقتران الإله حورس بقرص الشمس وهو الإله رع كبير الآلهة، وبالتالي ارتباط الملك بالإله الأكبر.

***سا-رع:** ويُقصد به ابن الإله رع، وهو لقب يؤسس علاقة مباشرة بين الملوك والآلهة، ويؤكد على أنهم من صلب إلهي، وغالبا ما كان يكتب قبل الاسم الشخصي للملك (حسن، 2001، الصفحات 166-168).

تقلدت الملكة حتشبسوت عددا كبيرا من الألقاب الدينية والدنيوية، وهذه الألقاب الملكية التي تقلدتها بمجرد جلوسها على العرش، تُعد الدليل الواضح على انفرادها بالحكم وإبعاد تحتمس الثالث، ولم يحدث من قبل أن

قامت أي سيدة أو ملكة من أن تتخذ الألقاب الملكية الخاصة بالملوك الرجال والتي تعتبر تقليدا ملكيا تطور منذ بداية الحضارة المصرية القديمة، وقد نعتت نفسها بالصفات المعتادة التي كان الملوك الرجال يتصفون بها، مثل: "هازمة الأعداء"، "من صلب آمون"، وصفات ملكية أخرى ماعدا صفة واحدة أحجمت حتشبسوت عن وصف نفسها بها وهي "الثور القوي" باعتبارها امرأة وهي صفة لا تتماشى إلا إن كان الملك رجلا (سعد الله، 1988، صفحة 87).

ومنذ ذلك الحين ظهرت حتشبسوت في المشاهد والتماثيل وهي ترتدي ملابس الملوك الرجال، وارتدت التاج الأبيض والأحمر المزين برأس أنثى الصقر والكوبرا، الذي ارتداه كل الملوك منذ بداية هذه الحضارة (بدوي، 1955، صفحة 357)، ك تُصر على استخدام الضمائر المذكرة لا المؤنثة، كما حرصت على الظهور بمظهر الملوك الرجال، فارتدت التاج المزدوج والتنورة القصيرة مع القلادة العريضة، وغطاء الرأس الذي يسمى "النيمس" والصل الملكي واللحية المستعارة رمز الملكية، كما ظهرت في تماثيل هيئة أو الهول، وهي خطوة جريئة لأن هذه الهيئة لم يظهر بها سوى عدد من الملوك خاصة ملوك الدولة القديمة الملقبين ببناء الأهرامات، وأبو الهول هو مخلوق خرافي عادة ما يتشكل من جسد أسد ورأس إنسان، والغاية من ظهور الملوك بهيئة أبي الهول هي إبراز القوة والسلطة (سوزانا، 2008، صفحة 73).

وقد أمرت حتشبسوت بتمثيل مناظر تتويجها من طرف الآلهة لإضفاء الشرعية والقدسية لاعتلائها الحكم، ويظهر في أحد تلك المناظر التي نُقشت على مسلتها في الدير البحري، مشهد تقديم الملكة حتشبسوت إلى الآلهة من طرف الإله آمون الذي أجلسها عند ركبتيه في مواجهة كل المعبودات، ويصاحب المشهد نقوش لهذه الأخيرة هي تعترف بحتشبسوت ابنة للإله آمون (Frankfort, 1951, p. 157)، ومناظر أخرى للرحلة التي قامت بها مع والدها إلى كل أنحاء البلاد لزيارة المعابد، وفي كل معبد كانت الآلهة تعترف بها، وفي آخر الرحلة أحضرت معها التيجان وعليها أسماءها، لتظهر بعدها في أحد المناظر متوجة ومرتدية الزي الملكي أمام الإله آمون وأرواح أسلافها من الملوك الذين رحبوا بالملكة الجديدة. (علي، 2001، صفحة 104)

4. ردود الأفعال على اعتلاء حتشبسوت العرش:

1.4 الكهنة:

مع قرب نهاية حكم تحوتمس الثاني رأى رجال البلاط الذين أيدوا الملك ووقفوا ضد طموح حتشبسوت، أنه من الأفضل أن يعلنوا الأمير الصغير وريثا شرعيا، وقد ساعدهم في ذلك كهنة آمون فأعدوا له مراسيم التتويج

(Weeigall, 1949, p. 86)، ونسجوا أسطورة لدعمه مفادها أن معجزة حدثت وعلى إثرها الآلهة اختارته ملكا، وجاء في ملخص الأسطورة: "...حدث أثناء أحد الاحتفالات الدينية...حيث كان الأمير يؤدي دوره ككاهن... أن غير تمثال المعبود الذي كان محمولا على أكتاف الكهنة اتجاهاه...فتردد الكهنة ... كما لو كانوا قد أُرشدوا بواسطة المعبود نفسه... وبدأ لهم أنه يبحث عن أحد...وأخيرا توقف عند تحتمس الثالث ومال تمثال المعبود كما لو كان ينحني أمام الشاب الصغير لكي يختاره ... وأعلن كبير الكهنة أنذاك أنه من الواضح جدا أن المعبود قد اختار الأمير الصغير ليصبح وريثا للعرش ... وحينها حيّا جميع الحضور الملك المنتظر..." (علي، 2001، صفحة 96)، هذه الأسطورة ألّفها الكهنة وكتبت على جدران المعبد هدفها قطع الطريق أمام حتشبسوت وكل من يطمع في العرش بعد وفاة تحتمس الثاني وأن الملك كان من حق ابنه وهو حق إلهي منحه إياه الآلهة.

لم تقبل حتشبسوت ومن كان يساندها من النبلاء ورجال من البلاط وكبار الموظفين ما جاء به كهنة آمون، ولم يمض وقت طويل حتى توفي تحتمس الثاني، وذهب عدد من الباحثين إلى أنه أن قد يكون مات مقتولا (فخري، 2007، الصفحات 272-274)، وبالرغم من ذلك لم يستطع الفريق الذي كان يدعم حتشبسوت إعلانها الوريثة الشرعية بل اعتلى تحتمس الثالث العرش، ولكنه كان أصغر من أن يتخذ القرارات ويدير شؤون البلاد، خاصة وأن مصر في هذه الفترة كانت مملكة مترامية الأطراف، لذلك أخذت الوصاية على العرش تتحول شيئا فشيئا إلى حكم حقيقي، واضطرت حتشبسوت إلى إبعاد أخيها إلى مكان غير معروف وحكمت البلاد منفردة (Weeigall, 1949, p. 106).

والملاحظ هو أن موقف كهنة آمون أثناء هذه الفترة بدأ يتغير وهم الذين ساعدوا تحتمس الثالث في البداية، إذ أصبح كبير الكهنة أحد المخلصين والموالين لحتشبسوت، ولكي تُدعم حقها وسلطانها دعموها بنسج أسطورة أخرى كرد فعل على أسطورة اختيار الآلهة لتحتمس الثالث، وهي أسطورة الولادة الإلهية لحتشبسوت، ومغزاها هو أنها ابنة إله آمون ومن صلبه، ونُقشت هذه الأسطورة بتفاصيل ميلادها المقدس على جدران معبدها في الدير البحري (فخري، 2007، صفحة 275).

يظهر من هذا الموقف جليا موقف الكهنة ودورهم في توجيه سياسة البلاد، ومدى تأثيرهم على مجريات الأحداث، وسواء وقفوا إلى جانب تحتمس الثالث قبيل وبعد وفاة والده تحتمس الثاني، أو إلى جانب الملكة حتشبسوت بعد انفرادها بالحكم وإبعاد الملك الصغير فإن كهنة آمون كانوا يقفون إلى جانب مصالحهم الخاصة، وعلى رأسها الحفاظ على مركزهم الديني والسياسي، خاصة وأن موقفهم سيتغير بمجرد أن يكبر تحتمس الثالث ويستعيد الحكم بعد فترة من الزمن.

2.4 المجتمع:

كان حكم المرأة للبلاد منفردة أمرا غير شائع، خاصة وأن كل الملكات الحاكمات اللائي تولين الحكم كن إما وصيات على العرش لفترة معينة حتى يكبر الوريث الشرعي ويستلم عرشه، أو أنهن كان كهمزة وصل لفترة معينة بين أسرة حاكمة وأخرى وذلك عند غياب الوريث الذكر، فتقوم الوريثة الشرعية بتولي هذه المهمة حتى تتزوج من شخص قريب من العائلة المالكة ويستلم الحكم كملك شرعي للبلاد اكتسب شرعيته من زوجته، وفي وضع حتشبسوت فإنها كانت في حقيقة الأمر وريثة شرعية مرتين الأولى لوالدها تحتتمس الأول والثانية لزوجها تحتتمس الثاني، وكان بوسعها الزواج مرة ثانية لكنها أحجمت عن ذلك وانفردت بالحكم في ظل الظروف السياسية التي كانت سائدة وصغرسن الخليفة، لذلك كان لابد لها أن تلجأ إلى بعض الوسائل والطرق لكي تحصل على القبول والتأييد، لأنها أدركت عدم ارتياح فئات من الشعب لانفرادها بالحكم وعزل الملك الصغير، فأرادت أن تضفي على مولدها صفة القداسة، فاخترت أسطورة ولادتها الإلهية، وأمرت بتسجيل أحداثها بالتفصيل في لوحات فنية كبيرة على جدران معبد الدير البحري (حواس، 2000، صفحة 50).

لقد كان لكهنة آمون دور كبير في نسج هذه الأسطورة التي كان الهدف منها تجنب صراع قوي داخل البيت الملكي وخارجه، وكذا رفضها من طرف المجتمع (لالويت، 2005، صفحة 246)، وقد صُوِّرت الأسطورة في مجموعة مناظر ونقوش توضيحية مفصلة على درجة عالية من الاتقان، وتلك كانت أبرز وسيلة يمكن أن توصل بها حتشبسوت أسطورة ولادتها المقدسة إلى الشعب، وجاء في مضمون الأسطورة كيف جمع الإله آمون بصفته إلها رسميا للدولة، كافة آلهة مصر معلنا أمامهم رغبته في إنجاب طفل يحكم البلاد، فيُشرح له الإله "تحوت" إله الحكمة الملكة "أحمس" زوجة "تحتتمس الأول" زوجة وأما للطفل، ويقتاده إلى القصر الملكي حيث وجد الملكة في مخدعها نائمة، فينبئها تحوت بأنها سوف تلد ابنة من الإله، ويُصاحب هذا النص مناظر فنية مُصَوَّرة تُظهر آمون والملكة جالسين في وضع متحفظ، وتذكر "حتشبسوت" في نص طويل كيف جمع والدها "تحتتمس الأول" رجال البلاط وقدم إليهم ابنته وريثة للعرش (حواس، 2000، الصفحات 51-52).

5. التنظيم السياسي والإداري في عصر الملكة حتشبسوت:

إن صعود حتشبسوت إلى الحكم حقق تقدما تدريجيا خلال السنوات المبكرة من وصايتها على العرش، ولمدة سنوات ومنذ عصر زوجها تحتتمس الثاني كانت قد شغلت منصبا دينيا هاما هو "زوجة الإله" الذي كان في ظاهره دينيا ولكنه كان يعطي لصاحبه سلطة سياسية واضحة (السيد، 1993، صفحة 70).

1.5 زوجة الإله:

هي من أبرز الوظائف المقدسة في مصر القديمة، ظهرت كلقب من ألقاب الشرف الملكية منذ عصر الأسرة الأولى، وهو منصب ديني رفيع يمنح صاحبه مركز سياسي هام في الدولة، وقد ارتقت حتشبسوت هذا المنصب وتزايد نفوذها السياسي مع تزايد نفوذها الديني، وهذا بفضل ما يترتب عنه من سلطة وامتيازات مادية ومعنوية، ولطالما كانت لصاحبة هذه الوظيفة دور مقدس مساوٍ لدور الآلهات (Christiane, 1986, p. 72)، وكان تتويج زوجة الإله يتم في احتفال كبير حيث كانت تتطهر وتتجهز وتسير في موكب رفيع إلى معبد الإله يتبعها الكهنة والكاهنات من مختلف الطوائف والاختصاصات، ويسير أمامها رجال البلاط الملكي وعدد كبير من موظفي الدولة وتوضع لها التماثيل والزينات، وتلبس التاج الملكي ذو الريشتين، هذا المنصب الكهنوتي الهام كان يكفل لها الإشراف الديني والإداري على معابد آمون، وكل ما يتبعها مثل الخزائن، مساحات من الأراضي، مخازن الغلال، مجموعة من الموظفين والعمال وعدد كبير من الكاهنات (Robins, 1993, p. 143).

2.5 الجهاز الإداري:

لم يكن باستطاعة حتشبسوت من أن تصبح ملكاً إلا في بالاتفاق مع مجموعة من كبار المسؤولين في الإدارة والحكم للحصول على مساندتهم ودعمهم، ومن بينهم رؤساء وكبار القواد في الجيش، عدد من النبلاء، كبار كهنة آمون، كبار الموظفين في مختلف الإدارات وغيرهم، فبعد أن كانت تحكم البلاد مشتركة مع تحوتمس الثاني قام هؤلاء بتأييد من بتعيينها ملكاً على البلاد تحت اسم "ماعت كارع-حتشبسوت" أي الابنة المفضلة لكبير الآلهة رع حتشبسوت (علي، 2001، صفحة 101).

استطاعت حتشبسوت أن تحكم البلاد منفردة، وقد تمكنت من تكوين فئة من الموظفين الذين أظهروا مهارة ودعمًا لها ولحكمها ضد أي محاولة انقلاب خاصة من طرف الكهنة، ومن كبار الشخصيات "أنيبي" حاكم مدينة طيبة العاصمة، "حابو سنب" حامل خاتم الوجه البحري والكاهن الأول لآمون والمشرف على كل الأعمال الملكية والمشرف على كل كهنة الوجه القبلي والبحري، وموظف آخر يدعى "تحوتي" المشرف على الخزنة، "ونب آمون" كاتب الحسابات الملكية والمشرف على الغلال، و"أمنحتب" الملقب بمدير كل الأعمال الخاصة بالمسلتين العظيمتين لبيت آمون، و"دوا سحج" المشرف على الصناعات الملكية والمشرف على مخازن غلال الآلهة والحاجب الأول، وقد اختص كل واحد من الموظفين الذين اختارهم الملكة حتشبسوت في مجال معين وأسهموا في تقدم البلاد وازدهارها، حيث منحتهم الملكة سلطات لم يمنحها الملوك من قبلها إلى الموظفين من غير العائلة المالكة، ولكن اقترن اسم حتشبسوت باسم وزيرها ومستشارها "سننموت" الذي لعب دوراً استثنائياً في تثبيت حكمها. (السيد، 1993، صفحة 73)

*الوزير سننموت:

بدأت حياة سننموت بالقرب من الملك تحوتمس الأول في سلك الجيش، إذ قاد مجموعة من الحملات خارج مصر، وتولى عدد من المناصب الهامة حيث كان يوضع تحت تصرفه الإشراف على خزائن الدولة، وتم تعيينه خلال

تلك السنوات مدير بيت الابنة الملكية وهو بمثابة المدرس والمربي للأميرة أيضا ومشرفا على أملاكها، ويُقصد بالأميرة الملكية حتشبسوت، وقد دام ذلك المنصب حوالي السبعة أو الثمانية سنوات، وبعدها أوكلت إليه مهمة الاشراف على تربية وتعليم الأميرة نفروع ابنة حتشبسوت (علي، 2001، صفحة 102)، وقد تنوعت سلطة الوزير ومهامه حيث تولى أكثر من عشرين منصباً مختلفاً في حياته، من بينها مستشار الملكة والموظف المسؤول عن المنشآت العمرانية لها، وأهمها معبد الدير البحري وقد عُثر لسننموت على مقبرتين واحدة في "دراع أبو النجا" الأخرى وفي "القرنة" في الأقصر حالياً، حيث لا يعرف إلى الآن في أيهما دفن، ثم اختفى ذكر "سننموت تدريجياً ويبدو أنه كان مكروها من طرف تحوتمس الثالث الذي خلف الملكة حتشبسوت، لأنه لعب دورا هاما في تثبيت حكم الملكة ودعمها، لذلك تعرضت مقبرتيه وتمثيله للتهشيم والتحطيم، ماعدا بعضها الذي بقي حتى يومنا هذا خاصة تلك التي جمعته بالأميرة نفروع. (علي، 2001، صفحة 103)

6. بعض إنجازات الملكة حتشبسوت:

1.6 على الصعيد الداخلي: استطاعت الملكة حتشبسوت بما كان لها من شخصية قوية وتفكير متميز أن تستمر كحاكمة وملك حوالي الواحد والعشرين سنة والتسعة أشهر وهذا حسب مانيتون (1483-1504 ق.م)، تميز خلالها نشاطها الداخلي بالتركيز على الانشاءات الهامة، وكان اهتمامها بالعمارة لاسيما الدينية والجنائزية منها كبيرا، فأمرت بإقامة مجموعة من المقاصير والمعابد أبرزها معبدها الجنائزي الذي اشتهر باسم معبد الدير البحري والذي كُرس للإله آمون وآلهة أخرى، ولإقامة الطقوس الجنائزية لها ولوالدها تحتمس الأول، وقد أمرت ببنائه بداية من العام التاسع من حكمها، ويعتبر أحد أجمل المعابد وأكبرها لما له من قيمة فنية، دينية وتاريخية. اما عن المسلتان التي أقامتهما في الكرنك فقد دونت عليهما معلومات كثيرة منها أنها أصبحت صاحبة الأمر والنهي في البلاد، وأمرت بتصوير مشاهد لفرحة الشعب بإقامة المسلتين وهتافه باسمها واسم تحوتمس الثالث، ويبدو أن غرضها من ذلك هو محاولة تبرير جلوسها على العرش وأنها لم تكن مغتصبة له.

2.6 على الصعيد الخارجي: اتبعت حتشبسوت سياسة خارجية بعيدة عن التوسعات العسكرية قائمة على السلام، وتهدف إلى تحقيق التوغل التجاري والثقافي لمنفعة مصر لربط علاقات سلمية اقتصادية مع دول الجوار، وأبرز ما قامت به في هذا المجال هو أن أمرت بإقامة رحلة تجارية إلى بلاد بونت – يُعتقد أنها الصومال حالياً- هذه الرحلة التجارية تُعتبر الوحيدة المسجلة في الآثار صورة ونقشا، حيث تُظهر المشاهد المصورة على جدران معبد الدير البحري تحضيرات السفن وتجهيزها للرحلة إلى غاية عودتها محملة بالبضائع المختلفة، كذلك مشاهد للوفد الذي رافق رحلة العودة والذي كانت ترأسه زوجة حاكم بلاد بونت لزيارة الملكة حتشبسوت، فلم يكن هدف الرحلة اقتصادية على قدر ما كان سياسيا.

7. نهاية حكم الملكة حتشبسوت:

غنية بلحفصي

حققت حتشبسوت إنجازات هامة وتركت سجلا حافلا في تاريخ مصر، لكن شيئا فشيئا بدأ شريكها في الحكم يثبت مكانته وأخذت شعبيته تتزايد بالتدريج خاصة بين ضباط الجيش، الذين كانوا قلقين تحت حكم السلطة السلمية لحتشبسوت، وأصبحوا يطمعون في الخروج إلى آسيا وبعض المناطق، حيث بدأت تظهر بعض الثورات في الأفق، وأخيرا في حوالي صيف 1483 ق.م أي في السنة الحادية والعشرين من حكم حتشبسوت، اضطرت هذه الأخيرة إلى السماح لتحوتمس الثالث بقيادة القوات التي تم إعدادها على الحدود الشرقية من الدالتا، وذلك في حالة حدوث أي اضطرابات لتبدأ بذلك نهاية حكم الملكة بتقلص نفوذها وسيطرتها مقابل ازدياد نفوذ وسيطرة من كانت وصية على عرشه، والذي كان في ذلك الوقت يقارب السابعة والثلاثين من عمره أما هي فكانت تقارب الستين من عمرها، وبدأت تختفي من النقوش والشواهد، وتوفيت فجأة ولا نعلم حتى يومنا هذا إن كانت وفاتها طبيعية أم دُبرّت لها مؤامرة اغتيال. (السيد، 1993، صفحة 75).

تُوّج تحوتمس الثالث ملكا على البلاد وأظهر في البداية بعض الاحترام للملكة حتشبسوت، ولكنه لم يرحم أتباعها من الموظفين، وسرعان ما انتقم منها هي أيضا بتهميش تماثيلها ومحو اسمها من كل الآثار ونسبها إليه، ردا على السنين التي حرمتها فيها من حكم البلاد. (السيد، 1993، صفحة 76)

8. الخاتمة:

تدرجت الملكة حتشبسوت للوصول إلى السلطة، حيث شاركت والدها تحتمس الأول وزوجها تحتمس الثاني في الحكم والعديد من المحافل وتقلدت عددا كبيرا من الألقاب الدينية والدنيوية كدليل واضح على انفرادها بالحكم وإبعاد تحتمس الثالث، ومن أبرزها الألقاب الملكية الخمسة الخاصة بالملوك الرجال، التي لم يحدث من قبل أن قامت أي سيدة أو ملكة حتى وإن كانت وريثة أو وصية على العرش على تقلدها.

أدركت حتشبسوت عدم ارتياح أطراف وفئات من الشعب انفرادها بالحكم وعزل تحتمس الثالث، فلجأت إلى اللعب على وتر الدين بنسج أسطورة ولادتها الإلهية لتضفي على مولدها صفة القداسة بالتنسيق مع رجال الدين، ذلك لأن الدين هو عصب الحياة في المجتمع المصري القديم، وكان الهدف تجنب صراع قوي داخل البيت الملكي والمجتمع.

رغم أحقيتها في تولي الحكم إلا أن حتشبسوت بصفتها ابنة ملك وأخت ملك وزوجة ملك، إلا أنها لم تتمكن من الحصول على ذلك الحق مثلها في ذلك مثل عدد كبير من الملكات والأميرات، لكن رغبتها وطموحها الكبير جعلها تستعمل ذكاءها، سلطتها ودهاءها لبلوغ هدفها في الارتقاء إلى السلطة.

إن إصرار حتشبسوت على أن تُلقَّب نفسها بالملك وليس بالملكة، وحرصها على الظهور بمظهر الملوك الرجال، كان الهدف منه هو إضفاء صفة الشجاعة والصلابة ولتفادي أي محاولة انقلاب ضد حكمها، وقد استطاعت الجلوس على العرش منفردة حوالي الواحد والعشرين سنة والتسعة أشهر، تمكنت خلالها من أن تبسط سيطرة واضحة على زمام الحكم والسياسة داخليا وخارجيا، وتمكنت من تكوين فئة من الموظفين الذين أظهروا لها الولاء الدعم المطلق.

تعتبر فترة حكم الملكة حتشبسوت من أزهى العصور، ورغم المعارضة التي تلقتها إلا أنها تمكن من أن تُسجل اسمها في التاريخ القديم كواحدة من أقوى الشخصيات.

رغم عمليات التهميش والانتقام المادي والمعنوي الذي تعرضت له آثار الملكة حتشبسوت إلا أن غزارة هذه الآثار وتميزها بالدقة الفنية والمهارة العالية، كان عاملاً رئيسياً في ديمومتها وبقائها شاهداً على عصر الدولة الحديثة عامة وعصر حتشبسوت خاصة.

قائمة المراجع:

- أحمد بدوي. (1955). في موكب الشمس. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- أحمد فخري. (2007). مصر الفرعونية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ألكسندر شارف. (2013). تاريخ مصر منذ فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية. (عبد المنعم أبو بكر، المترجمون) القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- بيدمان فرانثيسكوخ تيريزا ، و فالنتين مارتين. (2015). حتشبسوت من ملكة الى فرعون مصر. (علي إبراهيم منوفي، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- توماس سوزانا. (2008). قادة مصر الفرعونية، -حتشبسوت. القاهرة: دار إلياس العصرية.
- رمضان السيد. (1993). تاريخ مصر القديمة (المجلد 2). القاهرة: مطابع هيئة الآثار المصرية.
- رمضان عبده علي. (2001). تاريخ مصر القديم (المجلد 2). القاهرة: دار نهضة الشرق.
- زاهي حواس. (2000). سيدة العالم القديم. القاهرة: دار الشروق.
- سليم حسن. (2001). موسوعة مصر القديمة في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الإهناسي (المجلد 1). القاهرة: مكتبة الأسرة.
- سوزان راديه. (1998). حتشبسوت الملكة فرعون. (فاطمة عبد الله محمود، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبد العزيز صالح. (1968). الشرق الأدنى القديم مصر والعراق. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- كلير لالويت. (2005). طيبة أو نشأة إمبراطورية. (ماهر جويجاني، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- محمد علي سعد الله. (1988). الدور السياسي للملكات في مصر القديمة -دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم- (المجلد 2). القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة.
- محمد بيومي مهران. (بلا تاريخ). دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (المجلد 1). لإسكندرية.
- Breasted, j. h. (1941). *history of Egypt from the Earliest times to the persion conquest*. London.
- Christiane, D.-N. (1986). *La femme au temps des pharaons*. Paris : Stock.
- Frankfort, H. (1951). *La Royaume et les Dieux*. Paris: Payot,.

Robins, G. (1993). *Women in Ancient Egypt*. London: British Museum Press.

Weeigall, A. (1949). *Histoire de L'Égypte Ancienne*. France: Librairie Le Trait d'Union sar.